التحديات السياسية التى تواجه الأمة الإسلامية

فى القرن الحادى والعشرين

بقلم الدكتور / أحمد يوسف (*)

تأثر تقدم العمل فى لجنة التحديات السياسية باعتبارات ثلاثة : اثنان منهما يتعلقان بالظروف المحيطة بالعمل والثالث وهو أهمها يتعلق بجوهر العمل نفسه . أما الظروف المحيطة بالعمل فقد تمثلت بأمرين :

الأول : يتعلق بمدى استجابة الجامعات التى دعيت للاشتراك بممثلين لها فى اللجنة، وقد كانت هذه الاستجابة منعدمة من الناحية الفعلية حيث تراوحت ما بين عدم الرد أصلاً على مخاطبة أمانة الرابطة لها أو الرد بترشيح ممثلين لها فى اللجنة لم يحضروا أعمالها فى أى وقت من الأوقات ، ولذلك كان من الضرورى إتباع منهج بديل فى العمل ولدى اجتماع مقررى اللجان مع معالى رئيس الرابطة لمتابعة العمل طرحت هذه المشكلة وكذلك الحلول المقترحة لها بالدعوة إلى سلسلة من اجتماعات للخبراء ذوى السمعه الرفيعة فى الموضوع لمناقشة ورقة عمل تقدم من مقرر اللجنة بحيث تنتهى هذه الاجتماعات إلى بلورة خطة واضحة للعمل ، وقد وافق معاليه على هذه الفكرة وضرورة تنفيذها دونما مزيد من الانتظار لاستجابة الجامعات الأعضاء فى اللجنة وبناء عليه وجهت الدعوة إلى مجموعة من الخبراء المشهود لهم بالاهتمام بالدراسات الإسلامية من المنظور السياسى وهم (حسب الترتيب الأبجدى) :

١ - أ / إبراهيم البيومى غانم .

٢ - د / أحمد صدقى الدجانى .

٣ - د / سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل .

٤ - المستشار / طارق البشرى .

٥ - د / عبد الوهاب المسيرى .

٦ - د / محمد السيد سليم .

(*) أستاذ القانون الدولى العام - كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر .

٧ - د / محمد عبد الشفيع عيسى .

٨ - د / نادية محمود مصطفى .

٩ - د / نيفين عبد الخالق مصطفى .

١٠ - د / نيفين عبد المنعم مسعد .

وقد عقدت بالفعل سلسلة من الاجتماعات ناقشت ورقة العمل المقدمة من مقرر اللجنة وانتهت إلى وضع تصور معين لمنهج البحث ما لبث الاعتبار الثانى الخاص بالتمويل أن أثر عليه .

وبناء على ذلك تمت إعادة صياغة خطة العمل بحيث تنقسم إلى دراستين رئيسيتين يتولى كل واحدة منهما أحد الباحثين اللذين تحمسا للمشروع بغض النظر عن مستوى المكافآت وقد مكن هذا من رفع نسبى لهذا المستوى ، كما تم الاتفاق على أن يلى إنجاز الدراستين عقد حلقة نقاشية أو أكثر لمناقشة نتائجها تضم مجموعة من خيرة الخبراء المتخصصين فى الموضوع والمهتمين به على أن تجرى مراجعة شاملة للدراستين فى أعقاب عقد هذه الحلقة أو الحلقات النقاشية .

أما الاعتبار الثالث المتعلق بجوهر العمل نفسه فقد ظل إشكالية حقيقية فى التنفيذ نظراً لحساسية الموضوع وتشابكه ، فالبحث فى التحديات السياسية التى تواجه العالم الإسلامى فى القرن القبل يمتد بحيث يشمل شبكة واسعة من الموضوعات يمكن تصنيفها إلى شريحتين ، إحداهما تتصل بالتحديات التى يواجهها هذا العالم من داخله والثانية تنصب على التحديات التى يواجهها من بيئته الخارجية .

فأما عن الشريحة الأولى المتعلقة بالتحديات التى تنبع من داخل عالمنا الإسلامى فيمكن أن ننصرف إلى أحد أو بعض أو كل التحديات التالية :

١ - التحديات المتعلقة بإشكالية بناء الدولة الإسلامية ونظامها السياسى المعاصر ، وتتفرع عن هذا التحدى أسئلة عديدة : فما المقصود بالدولة الإسلامية أصلاً ؟ لقد اعتمد عدد من الدراسات معيار العضوية فى منظمة المؤتمر الإسلامى للتفرقة بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية ولكن إعمال هذا المعيار يسوى بين السعودية

وتركيا وإيران ولبنان وموزمبيق مثلاً كدول إسلامية ، فهل يجوز هذا على الصعيد العلمي إن جاز على الصعيد السياسي وذلك بالنظر إلى ما يتضح للوهلة الأولى من اختلاف بّين فى منظور كل من هذه الدول لموقع الإسلام من نظامها السياسي بل وفهمها لهذا الإسلام ؟ وإذا أغفلنا هذا المعيار الذى يمكن وصفه على أقل تقدير بأنه غير دقيق ولجأنا إلى معيار العقيدة التى يتبناها النظام القائم فى الدولة ومدى اقترابها أو ابتعادها عن الإسلام سوف نجد أن تطبيق هذا المعيار غاية فى الصعوبة ، وسوف تعترضه صعوبات هائلة فإذا كانت الإجابة واضحة فى عدد الحالات الصريحة كتركيا مثلاً التى تطبق مبدأ العلمانية فى علاقة الدولة التركية بالدين الإسلامى فإنه سوف يكون ملتبساً فى حالات أخرى عديدة ، فضلاً عما سنعود إليه مرة أخرى بخصوص إشكالية المفهوم المتبع للإسلام فى هذه الدولة وتلك .

وبعيداً عن هذه الإشكاليات العويصة ينصب التحليل فى هذا المحور على التحديات المتعلقة ببناء الدولة فى المجتمعات ذات الأغلبية الإسلامية ، وعلاقة هذه الدولة بغير المسلمين فيها أن وجدوا (وهى الحالة الأكثر شيوعاً) ثم بناء نظامها السياسى على أساس من الإسلام وهنا تثور أسئلة مهمة تتعلق بموقع الشورى من النظم السياسية المعاصرة عموماً ونظم البلدان الإسلامية خصوصاً ، ووجه الشبه والاختلاف بينها وبين النظام السياسى الإسلامى من المؤسسات السياسية الحديثة كالأحزاب السياسية والمؤسسات النيابية ومن الحركات المعارضة التى ترفع شعارات دينية وما إلى هذا .

٢ - التحدى المتعلق بالعلاقات بين الدول الإسلامية ، وهنا تثور أكثر من قضية منها مثلاً ما يتعلق بالواقع الراهن السيئ لهذه العلاقات والتى لا تجعل من الدول الإسلامية نظاماً متماسكاً لتفاعلات لها القدرة على الفعل المؤثر فى النظام العالمى بل ويصل الأمر إلى حد وجود صراعات خطيرة داخل العالم الإسلامى كالصراع العراقى الإيرانى مثلاً (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ، هذا فضلاً عن عدد من الصراعات والنزاعات المعروفة بين دول عربية مسلمة كالحالة العراقية الكويتية على سبيل المثال، وبالتالى فمن الأهمية بمكان تحليل أسباب هذه الصراعات والمنازعات إذا أردنا أن تكون لدينا المقدرة على استشراف مستقبلها وإحداث التدخل المطلوب . من ثم فى مسارها من أجل الوصول بالعلاقات بين الدول الإسلامية إلى الوضع المبتغى لها .

ولاشك أن جزءاً قيماً من دراسة هذا الموضوع سوف ينصرف إلى دراسة منظمة المؤتمر الإسلامى لمعرفة مدى كفاية الإطار الذى توفره لمتطلبات العلاقات التعاونية الفاعلة بين الدول الإسلامية وطبيعة المعوقات التى تواجه هذه المنظمة فى عملها وما أنجزته فعلاً من أعمال وعلاقاتها بغيرها من المنظمات ... الخ .

كذلك فإن دراسة وضع الأقليات الإسلامية فى كافة أرجاء العالم وعلاقاتها بمراكز التأثير فى العالم الإسلامى إن وجدت تشكل موضوعاً مهماً للتحليل فى هذا الصدد : فما هو حجم هذه الأقليات وما هى أماكن وجودها ؟ وما حقيقة أوضاعها ؟ وما طبيعة علاقاتها بالدول الإسلامية المختلفة ؟ وما هى الإشكالية التى تثيرها هذه العلاقات إن وجدت ؟ وما هى كذلك أفضل الصيغ للتعامل معها لتعزيز هويتها الإسلامية ؟

وأخيراً وليس آخراً فإن ثمة حاجة ملحة لدراسة موقع القومية وتأثيرها على العلاقات بين الدول الإسلامية بل داخلها ، وتثير هذه المسألة بصفة خاصة قضية القومية العربية التى ينظر لها اتجاه فكرى معين فى العالم الإسلامى باعتبار أنها كانت منذ بدايتها مناقضة لمفهوم العالم الإسلامى الواحد بقدر ما تختص جزءاً مهماً من هذا العالم بإطار خاص للعلاقة ولاسيما أن أول خصوم الحركة القومية العربية كان هو الدولة العثمانية « الإسلامية » . وقد تضمنت الخصومة العربية العثمانية تحالفاً عربياً مع قوى كبرى فى النظام الدولى ابان الحرب العالمية الأولى انتهى بتفكيك الدولة العثمانية ، وشكل بذلك حلقة مهمة من حلقات ظاهرة تحالف فريق إسلامى مع قوى غير إسلامية ضد فريق إسلامى آخر . غير أن فريقاً آخر يرى أن الحركة القومية العربية قد لعبت بعد ذلك دوراً بالغ الأهمية فى تصفية الاستعمار الأوربى فى الوطن العربى وبالتالى فإنها حققت إنجازات محددة تصب فى المصلحة الإسلامية بالمفهوم الواسع لهذه المصلحة .

وبغض النظر عن هذا التباين فى الآراء فإن الأمر الذى لا شك فيه هو أن العلاقة بين القومية العربية والإسلام قد مثلت إشكالية حقيقية على الأقل على المستوى التطبيقى بمعنى أنه إذا كان ثمة اقتناع بأنه لا يوجد تناقض بين العروبة والإسلام على المستوى النظرى فإن هذا التناقض بدا أمراً واقعاً على المستوى التطبيقى فى عدد من الحالات المهمة وعلى رأسها الحرب العراقية الإيرانية التى كانت أطول حرب نظامية بعد الحرب العالمية

الثانية بين شعبين مسلمين أحدهما عربى والآخر غير عربى ، وكذلك كان الصدام بين القوى السياسية ذات التوجهات القومية وتلك التوجهات « الإسلامية » واحداً من خصائص النظام العربى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية غير أن مشكلة العلاقة بين القومية والإسلام تتجاوز دون شك قضية العلاقة بين العروبة والإسلام وإلا فما الذى يفسر انفصال دولة باكستان المسلمة إلى دولتين ، أو يفسر العلاقة بين الأكراد والمجتمعات المسلمة التى يعيشون كأقلية فى وسطها ، وهكذا ويعنى هذا أن التأصيل النظرى للمسألة القومية وموقعها من العلاقات داخل العالم الإسلامى يعد مسألة بالغة الأهمية لفهم هذه العلاقات .

٣ - التحدى المتعلق بموقع العالم الإسلامى فى النظام العالمى المعاصر ، وهنا تثور أسئلة مهمة تتعلق بمدى وجود رؤية إسلامية مشتركة لعلاقة مع العالم غير الإسلامى ، وما هى أبعاد الرؤية إن وجدت ، أم أن هذه العلاقات تقوم للأسف استناداً إلى المصالح الذاتية لكل دولة إسلامية على حدة ، وكذلك تتعلق هذه الأسئلة بنظرة القوى العظمى والكبرى فى النظام العالمى المعاصر للعالم الإسلامى وما إذا كان يعد خصماً محتملاً أو فعليا أو بالعكس شريكاً ممكناً فى علاقات تعاونية ، وأخيراً ما هى القدرة الفعلية للتأثير الإسلامى فى النظام العالمى .

كذلك لا شك أن الحركة الصهيونية تمثل تحدياً حقيقياً للعالم الإسلامى بقدر ما اتجهت فى هدفها المباشر إلى بقعة من بقاع العالم الإسلامى ناهيك عن القيمة الدينية لهذه البقعة لدى المسلمين وكذلك لموقف الحركة الصهيونية من الإسلام والمسلمين . ومن الأهمية بمكان أن تدرس فى هذا السياق التطورات الفكرية والسياسية التى طرأت على الحركة الصهيونية ومدى تأثيرها على طبيعة وقوة هذا التحدى .

ونتيجة لمحدودية الموارد كما سبقت الإشارة فقد تم الاتفاق فى إطار اللجنة المكونة من مقررى اللجان الفرعية للمشروع على دمج الموضوعات السابقة فى دراستين تتعلق إحداهما بما يمكن أن يطلق عليه بصفة عامة التحديات السياسية الداخلية للعالم الإسلامى، والثانية بما يمكن كذلك أن يكيف باعتباره يمثل التحديات السياسية الخارجية لهذا العالم ، ونتيجة لاعتبارات التخصص والكفاءة والإخلاص لأهداف المشروع تم إسناد

الدراسة الأولى للأستاذ الدكتور/ سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل - أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة وصاحب عديد من المؤلفات السياسية من منظور إسلامى كما تم إسناد الدراسة الثانية إلى الأستاذة الدكتورة / نادية محمود مصطفى - أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية والمنسق العام لمشروع دراسة العلاقات الدولية فى الإسلام والذى تم بتمويل وإشراف من المعهد العالمى للفكر الإسلامى . وقد أعد كل منهما وثيقة أولية حول تصور تنفيذ المشروع مرفقة بهذا التقرير ، ثم بدأ العمل الفعلى فى الدراستين ويسير حالياً بشكل طبيعى بحيث ينتظر الانتهاء منهما بشكل أولى فى الربع الأخير من عام ١٩٩٨ ، على أن يعقب ذلك تنظيم حلقة نقاشية أو أكثر تضم مجموعة من خيرة الخبراء المتخصصين فى الموضوع للتعرف على آرائهم بشأن الدراستين تمهيداً لإدخال أية إضافات أو تعديلات يتفق على أنها سوف تكون مفيدة فى تطويرهما إلى الأفضل .

توصيات :

نتيجة لخبرة العمل فى الفترة الماضية يرجى النظر فى التوصيتين التاليتين :

- العمل على زيادة تفعيل مشاركة الجامعات أعضاء الرابطة فى تنفيذ المشروع حتى تجئ نتيجة العمل معبرة عن رأى واجتهادات أوسع قطاع ممكن من المهتمين بالموضوع .

- زيادة التمويل المخصص للمشروع بما يمكن من عقد أكبر عدد ممكن من لقاءات الخبراء وإجراء أية دراسات فرعية أو مكملة يظهر من سير العمل فى المشروع أنها ضرورية .

ملحـق

التحديات السياسية فى العالم الإسلامى

خطة العمل إعداد

أ. د / نادية محمود مصطفى

أ. د / سيف الدين عبد الفتاح

التحديات السياسية الحضارية

فى العالم الإسلامى

تمهيـــد

يركز هذا الموضوع بشقيه (الداخلى والخارجى) على جملة التحديات السياسية فى العالم الإسلامى ، ويتضمن هذا الموضوع بدوره أسساً ومقدمات منهجية تعتبر بحق مستلزمات أساسية لدراسة هذا الموضوع ، ومن أهمها :

مفهوم العالم الإسلامى ، مفهوم التحديات السياسية ، والعلاقة بين الداخل والخارج والتحدى السياسى وعلاقته بالجوانب الأخرى تأثيراً وتأثراً ، فضلا عن إمكانات التناول المنهجى لهذا الموضوع ، وأكثر المداخل تناسباً وملاءمة لدراسة هذا الموضوع فى إطار الأهداف المقررة للدراسة والبحث .

وقد برز العالم الإسلامى ومنذ ظهوره على ساحة البحث والدراسة كقوة مميزة على الساحة الدولية وذلك بسبب الموقع الاستراتيجى الذى تحتله الدول المكونة له ، وبتأثير الأحداث المتشابكة والكبرى التى جرت وتجرى فى مختلف البلدان الواقعة فى نطاقه .

ورغم تواتر استخدام هذا المفهوم « العالم الإسلامى » إلا أنه لا يزال واحد من أهم المفاهيم المختلف فيها وعليها لدى الكثيرين ، لأسباب ومقاصد متعددة ومتنوعة ، وهو ما يجعل من إلقاء الضوء على مفهوم العالم الإسلامى المعاصر والمعايير المختلفة والمتبعة لتحديده وتوضيح أبعاده ومعالمه ، وبيان الدول والوحدات التى تشكل أجزاءه ، والذاكرة التاريخية المرتبطة بهذا المفهوم « دار الإسلام » ، وبروز الظاهرة القومية وإفرازاتها فى شكل « الدول القومية » وما أحدثه ذلك من تطورات وتغييرات على المفاهيم المختلفة التى تسهم بدورها فى تحديد مفهوم العالم الإسلامى وما تركه ذلك من أثار على العلاقات بين الدول الإسلامية من جانب ، وبين الدول الإسلامية والعالم الغربى على تنوعه إن صح هذا التعبير من جانب آخر .

وفى إطار الدراسة المتأنية لهذا المفهوم ، فإن وصف جملة التحديات التى يواجهها هذا العالم ، وقد يكون أحد الأسباب المهمة فى ترجيح تبنى مفهوم العالم الإسلامى

« كمفهوم حضارى » وذلك نظراً لشموله كافة التعريفات الأخرى (السياسية ، البشرية والأغلبية العددية) واشتماله على جملة المعايير (العددية والتنظيمية والدستورية) . وتبنى المفهوم الحضارى للعالم الإسلامى كذلك يتناسب مع المدخل المنهجى الذى يحاول دراسة جملة هذه التحديات من منظور حضارى ، ولا شك أن هذا الترجيح لابد أن تكون له آثاره فى « مفهوم التحديات الحضارية » وكذلك العلاقة بين الداخل والخارج وفقاً للدوائر المتفاعلة والمتداخلة والمتقاطعة بحيث تحرك عناصر بحثية ضمن التصورات الإقليمية المختلفة سواء كانت أكثر تماساً مع ما يمكن تصنيفه ضمن دائرة « الداخلى » أو أكثر ارتباطاً مع ما يمكن اعتباره ضمن دائرة « الخارجى » وبما يحقق عناصر تكامل فى التناول والتعامل ومنهجية التحليل .

والأمر كذلك يتعدى تصنيف الداخل / الخارج إلى تصنيفات أخرى تتعلق بالسياسى وغير السياسى ، إذ أن دائرة التفاعل تجعل من منهج النظر والتعامل والتناول لما يسمى بالتحديات السياسية يجب أن يكون منضبطاً ضمن دائرة وصفها بالحضارية وما يتطلبه ذلك على الآخر هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن وصف هذه التحديات بوصف « الحضارية » يجعلنا وضمن هذا البحث نتابع جملة التحديات الرئيسية والاستراتيجية بالمعنى الواسع والتى تتصف بالتواتر والدوام النسبى وما تمثله من تحديات مفصلية أو تكوينية أو هيكلية ، وهى بذ لك تخرج المشاكل ذات الطبيعة الآتية أو الوقتية إلا أن تكون منظومة من الإشكاليات ، أو تمثل نموذجاً ومثالاً للتحدى المراد دراسته وبحثه .

ولا شك أن تحديد المفاهيم على هذا النحو يفرض بدوره أسلوباً له سماته فى التناول المنهجى لموضوع الدراسة ، خاصة أن موضوع التحديات التى تجابه العالم الإسلامى ، ليس من الموضوعات الحديثة أو الطارئة ، بل غالباً ما تم إثارته بشكل متكرر ومتواتر إما فى حالات التغيرات العالمية والدولية أو فى إطار وضوح ضعف العالم الإسلامى والفجوة التى تتسع بين حجم إمكاناته ودوائر فاعلياته ، وأنماط أدواره . وغالباً ما يثار هذا الموضوع ما اجتمعت المتغيرات الدولية التى تبرز هامشية دور العالم الإسلامى .

ومن ثم يصير التفكير فيما يسمى بالتحديات والتى تجابه عالم المسلمين أو العالم الإسلامى ضمن منظومة عالمية ومتشابكة ، ومتغيرة الأشكال ، وبما أن هذه التحديات

الحضارية قد اختلفت كماً ونوعاً وكثافة ، فيبدوا أن مدخل « تونبى » حول فكرته الأساسية « التحدى » و « الاستجابة » قد تشكل مدخلاً مهماً ومناسباً فى دراسة عناصر التحدى وأشكال الاستجابة .

اولاً: التحديات الداخلية السياسية الحضارية فى العالم الإسلامى :

فى إطار ما حدد آنفا من مناسبة مداخل « التحدى والاستجابة » لدراسة هذا الموضوع وبما تحدده من عناصر محفزة للحركة والسلوك ، للاختيار والقدرة على المواجهة ، فضلاً عن « الإرادة » للخروج و « المدة » الملاءمة له خروجاً من أزمات استحكمت تدور فى معظمها حول الضعف والانقسام والتخلف والتى ارتبطت على نحو أو آخر بالعالم الإسلامى .

وحقيقة الأمر أننا أمام أهم إشكاليات بحثية ضمن وضع بات مستقراً بعد المرحلة الاستعمارية ، والتى خرجت من رحمها « الدول القومية » المستقلة ، والتى تفرض بدورها عنصر معادلة جديدة فى مناهج النظر والتعامل والتناول .

ومن هنا كانت جملة من الإشكالات والتحديات والأزمات التى تطول الدول القومية جميعاً ، وأخرى تتعلق بالدول الإسلامية خاصة ، وكثيراً منها تشكل تشكلاً متميزاً فى إطار التكوينات القومية الإسلامية ، وربما تعود فى جانب منها إلى الخبرة الإسلامية فيما قبل هذه التشكيلات التى اصطلح على تسميتها بالدول القومية . وغاية الأمر أن هذه التحديات فيما بعد الاستقلال « قديمها وحديثها » صارت تتشكل وتملك تأثيرها ضمن منظومة يصعب فيها من ناحية الفصل فى التأثير والتفاعل بين عناصر الداخل فيها من ناحية ، فضلاً عن صعوبة تحديد ما هو الداخلى أو الخارجى وفق عناصر تقويم لأوضاع التحديات وأشكال الاستجابة .

إننا أمام عناصر قسمة جديدة لابد من ملاحظتها وأخذها فى الاعتبار إذا ما أردنا خريطة التحديات على حقيقتها ، وذلك أن كثيراً من الدراسات فى هذا المقام قد تنجح بدرجة أو بأخرى فى رسم خريطة التحديات أو وصفها وصفاً دقيقاً ، إلا أنها قد لا تفلح فى رصد هذه التحديات ضمن الوسط والبيئة المحيطة بها ، فقد نتصور ذلك ضمن افتراض أن هناك « أمة إسلامية » باعتبارها كيان يملك الإرادة السياسية المتحدة والقرار السياسى

الواحد ودراسات أخرى قد تنظر إلى هذه الدول باعتبارها دولاً قومية لا تأثير لصفة الإسلامية على وصف إشكالاتها أو تحدياتها ، ومن ثم فهى بعيدة عن ذلك الوصف وما يمكن أن يتركه من آثار تتمثل فى بعض منها على ما تحمله من ذاكرة تاريخية ممتدة لابد أن تجد تأثيراتها الفعلية على أرض الواقع وفى إنتاج الظواهر السياسية المرتبطة به فى بعض تكويناتها . فضلاً عما تحمله هذه التحديات من مخزون تاريخى لا يمكن إهماله بأى حال فى الوصف والرصد ، كما لا يمكن تغافله ضمن تصورات المواجهة واتخاذ مواقف التصدى ، وذلك ضمن صياغة مشروعاتها الحضارية فى تشكيل عناصر الاستجابة الفاعلة لهذه التحديات الوصف ضمن الوسط لا يزال يملك تأثيراً على أرض فى إطار الإمداد التاريخى من جهة والامتداد المستقبلى من جهة أخرى .

وضمن هذه السياقات فى الفهم والرؤية يمكن تحديد التحديات فى شكل أقرب ما يكون للمفاصل الكبرى والأزمات المتواترة والضغوط الحضارية المكونة لها والمولدة لتشكيلاتها وتجلياتها ، ومن هنا يبدو لنا أن هذه التحديات السياسية المنوه عنها لابد أن ترى ضمن إمداداتها (الخارجية) وضمن تفاعلاتها مع المجالات الأخرى السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والاقتصادية وجملة الحضارية .

هذه النظرة الشاملة تزكى المنظور الحضارى بما يتضمنه ذلك من آثار على كل العمليات المنهجية فى الوصف والتحليل والتفسير والتقويم ، ويتحرك ضمن مسارين مهمين :

الأول : يتعلق بإطاره مدخل السنن ، والبحث فى أصول العلل والأسباب والعلاقات الارتباطية والشرطية ضمن مكونات الفعل الحضارى ، السنن الحاكمة لصعود الحضارات وضعفها .

الثانى : يتعلق بالاستفادة من مدخل المستقبليات ، والذى يمكن من النظر إلى مستقبل هذه التحديات ، ومؤشرات حول طرائق مواجهتها ، وذلك فى سباق الارتباط بين هذا وذاك فى إطار السنن الفاعلة .

وفى هذا الإطار يمكن النظر إلى جملة التحديات الداخلية تشخيصاً وتحديداً على مستويات الفكر والنظم والحركة ، فمن التحديات ما يعود إلى الفكر السياسى أو يتجلى فيه ، ومنها ما يتمثل فى النظم والمؤسسات ، ومنها يتضح بصورة أكبر ضمن أنماط الحركة السياسية وأساليبها المختلفة .

وضمن تلك المقدمات السابق التنويه إليها يمكن تصنيف التحديات السياسية الداخلية إلى قسمين يعالج كل قسم فى باب .

القسم الأول : المتعلق ببناء الأمة والتحديات المتعلقة بذلك ، وهو يتضمن إثارة جملة التحديات المختلفة فى كل ما يتعلق بقضايا الهوية والاختلاف والتعددية وما يحيط بذلك وما يتولد عنه من قضايا مثل العلاقة بين الإسلام والعروبة ، والإسلام والتعددية ضمن مفهومها الواسع (التعدديات العرقية والإثنية والدينية والاجتماعية .. الخ) ويمكن التطرق فى هذا الصدد إلى الحركات الإسلامية والدينية .

أما القسم الثانى : فهو المتعلق ببناء الدولة أى ما يرتبط بالكيان السياسى والعلاقة السياسية وأنماطها ومتطلباتها ، وتشكيل النظام السياسى ، وهذا يشتمل بدوره على مناقشة جملة من الإشكاليات والتحديات مثل إشكالية العلمانية وتأسيس النظم السياسية ، وإشكالية العلاقة بين بين الشورى والديمقراطية . وكذلك إشكالية العلاقة السياسية وما يرتبط بذلك من تأسيس هذه العلاقة السياسية (أى ترجمتها إلى أشكال مؤسسية مستقرة وفاعلة) وهو ما يجعلنا نتطرق إلى المؤسسات السياسية والأحزاب السياسية ، ومؤسسات المشاركة السياسية والمجتمعات الأهلية والعناصر المتعلقة بمؤسسات الثقافة السياسية فضلاً عن سياسات التنمية وهذا يثير بدوره جملة الأزمات التى تواجه النظم السياسية فى بلدان العالم الإسلامى (أزمة الهوية ، أزمة الشرعية ، أزمة المشاركة، أزمة التغلغل ، أزمة التوزيع ... الخ) وإمكانات مواجهتها وتقديم أنماط استجابة فاعلة لها .

ويمكننا فى هذا السياق تحديد الإطار العام لمنهج تناول هذه الموضوعات ضمن مستويات ثلاثه :

الأول : العرض النقدى للكتابات التى تناولت جملة التحديات السياسية الداخلية المنوه عنها .

الثانى : يمكن استخلاص من ذلك العرض خريطة التحديات الداخلية الكبرى التى تواجه العالم الإسلامى .

الثالث : تأصيل جملة من المقدمات المنهجية للبحث فى هذا الموضوع وما يمكن أن يطرحه ذلك من أجنده بحثية قابلة للمتابعة البحثية المتأنية .

كل ذلك فى إطار تصنيف هذه التحديات ضمن تحدى بناء الأمة ، وتحدى بناء الدولة .

ثانياً : التحديات السياسية فى العالم الإسلامى :

يقترب البحث من دراسة هذه التحديات اقتراباً ثلاثى المستويات :

الأول : التحليل التراكمى النقدى المقارن للأدبيات (باللغة العربية والأجنبية) التى تعرضت جملة وتفصيلاً لهذه التحديات بعضها أو جلها ، وذلك حتى نتعرف على حصيلة المعرفة متعددة المصادر والمنظورات حول هذه القضية . وسيتم التحليل فى هذا المستوى وفق إطار منهجى نحدد أبعاده فيما بعد .

الثانى : تقديم خلاصة ذلك التحليل وانطلاقاً من منظور الباحث حول طبيعة التحديات الخارجية وآثارها وسبل الاستجابة لها .

الثالث : تحديد القواعد المنهجية للبحث فى هذا الموضوع وكذلك تحديد المجالات والاتجاهات البحثية والحركية الجديرة بالاهتمام المستقبلى ، والتى يمكن أن تحقق دراستها تراكماً علمياً جديداً على صعيد الجماعة البحثية العربية الإسلامية .

وحيث أن المستويين الثانى والثالث من منهج الدراسة يرتهنان بالإنجاز فى صعيد المستوى الأول ، فسنركز فيما يلى على الإطار النظرى للبحث على هذا المستوى . ويتلخص هذا الإطار كالآتى :

١ - تعدد الأدبيات منذ منتصف الثمانينيات التى تناولت تحت مسميات عدة ومن زوايا متنوعه المجال البحثى الكبير الذى ينبثق عنه موضوعنا . فنجد على سبيل المثال العناوين التالية : الإسلام والمسلمون فى عالم متغير ، الإسلام والنظام الدولى الجديد، الإسلام والغرب ، امتنا والنظام العالمى الجديد ، مستقبل العالم الإسلامى فى ظل النظام العالمى الجديد ، الإسلام والنظام العالمى الجديد ، مستقبل العالم الإسلامى فى ظل النظام العالمى الجديد ، العالم الإسلامى والمتغيرات الدولية الراهنة .

ونلاحظ أن جميع هذه العناوين تضم شقين : الإسلام أو المسلمين أو العالم الإسلامى من ناحية والنظام العالمى الجديد أو الغرب أو المتغيرات الدولية الراهنة من ناحية

أخرى . وهذا يعنى فيما يبدو أن العلاقة بين هذين الشقين هى محور الاهتمام وأن تعدد بؤر هذا الاهتمام ومما لا شك فيه أن التحديات الخارجية التى تواجه العامل الإسلامى هى محور أو خلفية هذه البؤر التى انطلقت منها هذه الأدبيات أو بنيت عليها ، ويدفعنا هذا التعدد فى هذه الأدبيات خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين إلى تمييزها كتيار واضح ومتدفق من الرؤى المتلاطمة التى تتفرع بين روافد واتجاهات متنوعة . ولابد وأن تستثير ملاحظة هذا التيار السؤال عن مغزى توقيت تجمعه فى هذه المرحلة .

فالمرحلة الراهنة من تاريخ العالم الإسلامى وتاريخ المسلمين هى مفترق طرق جديدة تمر به تطورات العلاقة بين الإسلام وبين العالم وإذا كانت مفارق الطرق السابقة جميعها قد قادت إليها عمليات تحول وتغير سواء فى أوضاع المسلمين أو العالم المحيط ، فهذا شأن المرحلة الحالية من تطورات النظام الدولى ومن أوضاع العالم الإسلامى والتى تفرز أثواباً جديدة للتحديات الخارجية للعالم الإسلامى . حيث أن هذه التحديات شأنها شأن الداخلية منها أيضاً ليست مستحدثة أو طارئة ، ولكنها متكررة ومتواترة منذ بدأت المرحلة الكبرى من الضعف والتجزئة والتراجع أمام الآخر ، وإن كانت تتخذ أشكالا متغيرة بتغير الأوضاع والظروف من مرحلة فرعية إلى أخرى .

ومن ناحية أخرى يستثير وجود هذا التيار العديد من الأسئلة حول خصائص ومضمون القضايا التى يطرحها وأهم المناقشات التى يشهدها بين روافده المختلفة .

وبالطبع فإن الغاية الكبرى من تحديد هذه الأسئلة ومحاولة الإجابة عليها هى استكشاف محصلة الحالة الراهنة (على مستوى الواقع ومستوى الفكر) لوضع الإسلام والمسلمين فى نهاية القرن العشرين وما يحمله هذا الوضع من فرص وإمكانيات أو قيود وضغوط أى بما يستثيره من تحديات ويفترضه من استجابات .

٢ - ان هذا المقترب المنهاجى لدراسة التحديات الخارجية أى نقد الأدبيات يسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف البحثية ومن أهمها ما يلى :

(أ) استكشاف مناطق الاختلاف بين المنظورات المختلفة التى تهتم بدراسة الموضوع انطلاقاً من أسسها والتى تنقسم بينها الأدبيات .

(ب) تحدى أنماط التحديات (مثلاً : المادية ، غير المادية) التى تحتل أولوية الاهتمام نظراً لإلحاحها أكثر من غيرها .

(جـ) ما هى أنماط الاستجابة القائمة أو الممكنة من جانب القوى الإسلامية حكومات كانت أو شعوباً ؟

(د) ما طبيعة التحليل فى هذه الأدبيات : فكرى نظرى ؟ أم ينبنى على قواعد معلوماتية وسلوكية محددة ؟ وهل هناك تركيز على مناطق معينة من العالم الإسلامى أكثر من غيرها ؟

(هـ) هل تعالج الأدبيات أشكال التحديات الراهنة فقط أم تطرح خصائص اللحظة التاريخية الراهنة فى إمداداتها السابقة وفى احتمالاتها الممكنة فى المستقبل (أى ما العلاقة بين حلقات الواقع ، التاريخ ، المستقبل فى دراسة التحديات) ؟

٣ - وينطبق الاقتراب من عملية تحليل الأدبيات من تحديد إجرائى للتحديات الخارجية بمستوياتها وأنماطها : كيف ؟

بالنظر إلى الأدبيات النظرية فى مجال دراسة العلاقات الدولية ، نجد موضوع بحثنا يقع فى نطاق « التفاعلات النظمية » وهو يثير عدة أبعاد نظرية : خصائص النظام الدولى وتأثيرها على النظم الفرعية الإقليمية والنوعية ، وأنماط التهديدات الخارجية للأمن ، أنماط الاستجابة لهذه التهديدات وأدواتها . ومن الجدير بالذكر ملاحظة أن هذه الأبعاد تتصل بدورها بثلاث مستويات تحليلية نظمية هى وضع النظم الفرعية فى سلم القوى الدولية . درجة التمسك والتفكك فى هذه النظم ومن ثم مدى قدرتها على الاستجابة للتحديات التى يفرضها هذا الوضع ، وأخيراً التحولات على نطاق هذه النظم الفرعية تحت تأثير التفاعل بين هذه التحديات وهذه الاستجابات .

وبالنظر إلى العالم الإسلامى إذا أمكن لنا اعتباره نظاماً فرعياً نوعياً وعلى ضوء خبرة ما أخذ يشهده من تحديات منذ بداية مرحلة ضعفه وتطورها فإنه يمكن أن نميز بين ثلاث مجموعات من الأنماط : فمن ناحية واستناداً إلى معيار مصدر التحدى (وهنا يثور أمامنا ما يتصل بالتحديد الإجرائى للمقصود الخارجى) أى القوى الخارجية فهل يمكن أن نميز بين تحديات من مصادر غربية أم أن « الغرب » هذا هو كل مصدر واحد ذو تنويعات فقط ؟ كذلك هل يمكن أن نميز بين تحديات الغرب وتحديات الصهيونية وإسرائيل ؟ أم يتطابق هذان المصدران ؟ أم يمكن أن نتساءل ما هى التحديات من الغرب وما هى التحديات من الصهيونية ؟ وما هى الجسور بينهما ؟

ومن ناحية أخرى : واستنادا إلى معيار طبيعة التحديات فيمكن أن نميز بين نمطين أساسين : التحديات المادية لعناصر القوة وللوحدة وللاستقلال ، والتحديات غير المادية أى للنموذج الحضارى الإسلامى . وهما نمطان على مدار التاريخ الإسلامى مترابطان فى تأثيراتهما . ولقد اتصل كل منهما بتدخلات خارجية هامة وبأدوات متطورات تطرح قضايا متجددة على الدوام وأن ظل جوهرهما واحد وهدفهما ثابت وهو النيل من القوة والاستقلال والوحدة على صعيد العالم الإسلامى .

ومن ناحية ثالثة : وبالنظر إلى معيار مجال التحدى ونطاقه الجغرافى أو المكانى (أقاليم العالم الإسلامى) فهل نجد أنماطاً من التحديات أكثر بروزاً على مستويات إقليمية معينة أكثر من غيرها ؟ فمثلاً الصراع العربى الإسرائيلى يمثل وفقاً للمنظور الإسلامى تحديا حضارياً وعقيديا للمسلمين بأسرهم ولكنه أكثر تأثيراً على المنطقة العربية وما تواجهه من تدخلات خارجية وبالمثل فإن التهديدات للهوية الإسلامية أمر يواجه أقاليم العالم الإسلامى المختلفة وإن كانت تبدو أكثر خطورة بالنسبة لأقاليم بعينها حيث يكون المسلمون أقلية وخاصة فى ظل أطار أكبر ضموا إليه قسراً وعلى صعيد أخر وبالنظر إلى نفس المعيار يمكن أن نشير إلى نمط التحديات التى تواجه العلاقات بين الدول الإسلامية مثيرة الصراعات فيما بين هذه الدول وإذا كان لهذه الصراعات مصادرها الذاتية (الوطنية أو الإقليمية) إلا أنها لا تعدم المصادر الخارجية) .